فضاءات

مختارات للشاعر الكوردي

مؤيد طيب

لا ريح تقلُّني
لا أرض تحملني



لا ريح تقلني

لا أرض تحملني

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
2019/11/5769

811.9
طيب، مؤيد
لا ريح تقلني لا أرض تحملني – مؤيد طيب؛
ترجمة: ماجد الحيدر– عمان: دار فضاءات، 2019
الواصفات: /الشعر العربي//الأدب العربي//العصر الحديث/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو اي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9923-36-027-9



الطبعة الأولى: 2020

لا ريح تقلني لا أرض تحملني – مؤيد طيب – العراق
دار فضاءات للنشر والتوزيع – المركز الرئيسي
عمان - شارع الملك حسين- مقابل سينما زهران
تلفاكس: 4650885 (6 - 962+) هاتف جوال: 911431- 777(962+)
ص.ب 20586 عمان 11118 الأردن
E.mail: Dar_fadaat@yahoo.com
Website:http://www.darfadaat4publishing.com

تصميم الغلاف: فضاءات للنشر والتوزيع
الصف الضوئي والإخراج الداخلي والطباعة: فضاءات للنشر والتوزيع

لا ريح تقلني

لا أرض تحملني

شعر

مختارات للشاعر الكوردي
مؤيد طيب

ترجمة
د. ماجد الحيدر



مؤيد طيب
شاعر الريادة والتجديد!

قصيدة بعد قصيدة، ومجموعة بعد أخرى، يؤكد مؤيد طيب مكانته المستحقة كواحد من رواد التحديث في الشعر الكردي المكتوب باللهجة الكرمانجية وقدرته على تبني أشكال فنية متجددة وابتكار صور شعرية تضج بالحياة وتستمد ألوانها وضربات ريشتها الماهرة من طبيعة وطنه الساحرة من ناحية وأحلام وآمال وأوجاع شعبه في كفاحه الدامي من أجل الحرية والعيش الكريم من ناحية ثانية.

إنّ المتابع لتجربة مؤيد طيب الشعرية الطويلة الممتدة عبر أكثر من أربعة عقود يكتشف ميله المتزايد (الناتج عن التجربة الروحية وتراكم الخبرة والقراءة المعمقة لمنجزات الأدب الكردي والعربي والعالمي ناهيك عن التحولات الاجتماعية والسياسية والفكرية المحليّة والعالمية) نحو التأمل الفلسفي والوجودي العميق مع احتفاظه ببساطة تذكرنا بأحلام الطفولة وتساؤلاتها وصورها الملونة المدهشة متأثراً، ربما، بتجربته الغنية في الكتابة للطفل والترجمة له. هذه (الحكمة) المكتسبة لم تؤد (بخلاف العديد من التجارب) إلى اعتزال الشاعر للناس والتكبر على مشاركتهم في همومهم وأحلامهم وتفاصيل حياتهم اليومية والانزواء في أبراج

عاجية مثلما أن ميله إلى خوض مغامرة تجريب أساليب جديدة لم تؤد إلى الانجرار إلى هذا الكم الهائل الذي نراه من الكتابات الفاقدة للجمال والفنّ والعمق بدواعي التحديث والتجريب. إنَّ هذا التطور المستمر في شعره، مضمونًا وأسلوبًا ليس بخاف عليه شخصيًّا وهو يقول بهذا الصدد (في لقاء أجراه معه المترجم):

"لقد خاض الكثير من الأدباء تجربة الكتابة الشعرية في مقتبل عمرهم ثم غيروا مساراتهم نحو أجناس أدبية أخرى مثل القصة والرواية، لكن هناك أدباء يبقون شعراء منذ بداياتهم حتى آخر مراحل حياتهم، وأنا واحد من هؤلاء، إذ لم أتحول إلى أجناس أخرى. لو تأملت دواويني ستجد أن هناك حداً فاصلاً بين ديوانيّ الأول والثاني وبين دواويني اللاحقة الثالث والرابع والخامس. عندما كتبت المجموعتين الأولين كنت في العشرينات من عمري وكنت أصبّ جلّ اهتمامي على المضمون وعلى طابع المقاومة في شعري كوسيلة في خضم الكفاح. لا يملك المرء في مراحل شبابه الأولى تلك التجربة الفنية العميقة، لذلك تراه يمنح المضمون أهمية أكبر، وكان مضمون قصائدي يدور في الغالب حول معاناة الانسان الكوردي الرازح تحت السلطة الفاشية. لكنك حين تقرأ الدواوين الثلاثة الأخيرة ستلاحظ اتساع التجربة الإنسانية ورحابتها، ولهذا تجد مضامين ومواضيع جديدة. لقد ابتعدت عن وطني ثلاثة عشر عامًا وعشت في المنفى

الذي انعكست معاناته على قصائدي. أضف إلى ذلك تعمق تجربتي الحياتية والثقافية فلم أعد أكتب بالطبع بذلك الأسلوب البسيط لذلك ستقرأ في السطور وما بينها أمورا جديدة، ورؤى جديدة للشاعر كإنسان يعيش في هذا العالم ويراقب ما حوله من تبدلات في حياته وفي مجتمعه وينظر بعينه الناقدة إلى كثير من المساوئ والسلبيات المحيطة. ما أقصده هو أن الشبيبة تمتاز بانفعالاتها القوية الجامحة لكن تلك الانفعالات تتحول مع تقدم السنّ إلى تأملات. تأملات فلسفية أو صوفية أو دائرة حول معاناة الانسان."

وهو يقر بأنه، في قصائده الأخيرة يغدو أكثر ميلا للتشاؤم ويعلل ذلك بقوله:

"نعم، سيحصل هذا أيضا، وسيميل الإنسان إلى التشاؤم. عندما يكون المرء في شرخ شبابه يكون العالم كلّه أحلامًا فسيحة وآمالاً بتحقيقها، لكنه سيدرك مع الوقت كمية السذاجة التي كانت تنطوي عليها تلك الأحلام والإيمان بإمكانية تحقيقها. إنّه أمر شبيه باعتقاد شعب مقموع رازح تحت دكتاتورية بغيضة بأن الدنيا ستتحول إلى فردوس حالما تنتصر الثورة ويرحل الدكتاتور، لكنه يصاب بخيبة الأمل! التساؤلات عن التفاؤل والتشاؤم كثيرا ما طرحت في جلساتي الشعرية ولقاءاتي مع الجمهور الذي يسألني: كنت قبلا أكثر تفاؤلا فما سر ميلك إلى التشاؤم؟ وكنت أجيب بأن هناك نوعين من التشاؤم: نوع يتبنى موقف

التسليم للواقع السيِّئ ونوع ثان يعمل على كشف الواقع وسلبياته من أجل تغييره، أي هو موقف تحريضي."

أما عن التحولات والتطورات الأسلوبية في دواوينه الأخيرة فيقول:

"رغم أنَّ الدواوين الأخيرة لا تخلو من قصائد طوال لكنني صرت أكثر ميلا إلى التكثيف، إلى القصر سواء في الأبيات أو في القصائد، وإلى التحرر من الشكل التقليدي والوزن والقافية، وإلى إيلاء مزيد من الاهتمام للصورة الشعرية، للشكل القريب من اللوحة الفنية وللقصائد التي تتخذ شكل الإبيكرام والهايكو (أو التي تحمل بعض صفات الهايكو، رغم أنني لم أطلق عليها هذه التسمية) وأعتقد بأنّ هذا التوجه نحو قصر الأعمال اتجاه عالمي حتى في الرواية".

ومؤيد طيب مدافع شرس عن الشعر وقدرته على البقاء، وعن هذا يقول:

"يقال في أحيان كثيرة بأنَّ الرواية وغيرها من الأجناس الأدبية قد أزاحت الشعر عن مكانه، لكنني أذهب إلى القول باستحالة اختفاء أي جنس أدبي. الشعر على الخصوص باعتباره أقدم الفنون اللسانية ما زال حيا وقادرا على البقاء. صحيح أنه تغير كثيرا عبر العصور، وواجه تحديات ومنافسات لا تحصى من قبل الأجناس الأدبية الأخرى بعد أن كان الفارس الأول والأوحد في ميدان الأدب، لكنني

أشكك في صحة كل ما قيل ويقال من أن الشعر يتجه نحو الانقراض والفناء. أحد الفوارق الرئيسية بين الشعر والرواية هو أن القليل من الروايات نستطيع قراءتها أكثر من مرة في حين أنَّ هناك من القصائد ما نعيد قراءتها عشر مرات وأكثر. كثير من الروايات تغدو قديمة مع مرور الوقت ولا تعود مقروءة (ما عدا الكلاسيكيات الكبرى لدوستويفكي وتولستوي وبلزاك على سبيل المثال لا الحصر) لكن العديد من أقدم النتاجات الشعرية مثل ملحمة كلكامش ومهابهاراتا الهند وشاهنامة الفردوسي وأعمال شكسبير (على سبيل المثال أيضًا) لم تزل حية ومقروءة. غير أنّني أودّ الإشارة إلى ظاهرة مفادها أنّ الشعر أكثر مقبولية وقراءة عند بعض الفئات العمرية مثل الشباب دون الخامسة والعشرين وكبار السنّ ممن يتجاوزون الخمسين، في حين يتحول ذوو الأعمار المتوسطة بين هاتين الفئتين إلى الرواية قبل أن يعودوا إلى الشعر! لاحظ أيضًا أنَّ الشعر يتمتع، على المستوى العالمي، بحضور أكبر في المهرجانات ووسائل الإعلام. ربما يمكن القول بأن الشعر والأجناس الأدبية يسيرون جنبًا إلى جنب لكن الشعر في رأيي يظل عصيًّا على الفناء، حيًّا وباقيًا ما بقيت اللغة!".

ولعل مؤيد طيب واحد من الشعراء القلائل الذين حققوا في شعرهم، وفي حياتهم أيضاً، ذلك الالتحام المبدع بين الخاص والعام، بين الالتزام الواعي بقضايا الشعب

وهموم الشعراء اليومية منها والوجودية. إنّه، وببساطة شديدة يعطينا درساً بليغاً في تجاوز هذا التناقض المفتعل بين الشكل والمضمون. ولعلّ من اللافت أنَّ هذا الرجل الهادئ الحيي قد حقق، وفي سنّ مبكرة من حياته، شعبية وحضوراً يثيران الدهشة بين أوساط الجماهير، وأعني الناس العاديين: الطلبة، الكادحين، المقاتلين، ناهيك عن المثقفين أو الأدباء. لقد كانت قصائده تتحول بسرعة عجيبة إلى أغنيات يلحنها كبار الفنانين الكرد ويرددها الصغير والكبير.. أغنيات حزينة في ساعات الإحباط واليأس والضياع، وأغنيات أخرى متفائلة، متحدية، لساعات الفرح والأمل والإصرار على الحياة. وكانت الأوراق التي خطت عليها بعض قصائده تنتقل، في سنوات الفاشية والظلام، من يد إلى يد كمناشير سرية يتلقفها الناس في الشوارع والمدارس والسجون وخنادق القتال لتمنحهم الأمل والضوء والإصرار على المقاومة حتى إنّه اشتكى في إحدى المناسبات من أن بعض قصائده تعرضت على يد الناس إلى الكثير من التغيير والتحوير والحذف والإضافة مما يعتري الأدب الشفاهي الشعبي! ولعل العديد من الشعراء يتمنون في سرهم أن يحظوا بهذا الشرف: شرف تحول قصائدهم إلى جزء من الفولكلور وهم لما يزالوا على قيد الحياة!

لقد عاصر كفاح الشعب الكردي المرير من أجل تحطيم أغلال العبودية والفاشية؛ صوتا وقلماً، وتغنى بانتفاضات

الشعب صعوداً ونزولاً، نصراً وتراجعاً. غنى للشهداء وأمهاتهم، غنى للأطفال المعدمين المحرومين من طفولتهم، غنى للمرأة أمًّا وحبيبةً وكادحة وضحية.. حتى إذا انهزمت الفاشية وزال ليلها المظلم عن سماء كوردستان والعراق وتنفس الشعب هواء الحرية لم يتحول الشاعر إلى موظف مترهل بيروقراطي آخر ممن تعج بهم تواريخ الثورات حين تنتصر وتتحول إلى دول وحكومات وكيانات سياسية: لقد ظل يتغنى بالحب والحرية والسلام والطفولة، وينتقد – في قسوة وسخرية وشجاعة- كل ظاهرة سلبية أو انحراف أو ظلم أو نكران لجميل (انظر قصائده سياسيون والنهر الذي صار مستنقعاً وبابكو) لقد ظل شاعراً .. شاعراً حتى النهاية!

إنّ القارئ لكتابات مؤيد طيب (شعراً ونثراً وأدبَ أطفال) يكتشف على الفور تلك السمة الجميلة فيها وأعني أنها تدخل القلب دون استئذان، وتوظف أسلوباً يجمع بين اللغة الراقية والبساطة الظاهرية التي تخفي وراءها ثقافة عميقة وإلماماً ممتازاً بالتراث الكوردي العريق والأدب العالمي والعربي على وجه الخصوص، وهو في التزامه بقضايا شعبه القومية والاجتماعية بعيد كل البعد عن الانغلاق والتعصب القومي ونصيرٌ لكل الإنسانية في كفاحها من أجل انتصار الحب والخير والجمال.

تتنوع قصائد هذه المجموعة في "قوالبها" وأساليبها الفنية و"أغراضها الشعرية" مثلما تتفاوت طولا وقصراً إذ نجد

فيهما القصيدة اليومية وقصيدة الومضة والنصوص المشربة بالروح الفلسفية والصوفية وتساؤلات محنة الوجود مثلما نجد القصيدة السياسية المباشرة وقصيدة السخرية السوداء والبورتريهات الشعرية والقصيدة الغنائية والغزلية وتأملات الشاعر في طبيعة بلاده وانعكاساتها النفسية والوجدانية.

أخيرا: ثمة اعتراف صغير قلته في أكثر من مناسبة بخصوص هذه القصائد: لقد قرأت أغلبها مرات ومرات وعايشتها طويلا وأسعدني الحظ بصداقة الشاعر الذي خطها لكنني رغم هذا لا أملك إلا أن أغالب الدمع وأنا أقرأ بعضها!! وأنا في هذا أشبه بالطبيب الذي تستوقفه - بين آلاف الحالات التي يراها في خضم العمل اليومي- حالة إنسانية تهزه من الأعماق وتغمره بالأسى والوجوم حتى يجلس بين يدي مريضه كي يشاطره البكاء. وهذا لا يعني أيضا غير شيء واحد وهو أن هذه القصائد تمتلك من الأصالة والتفرد والحسّ الإنساني ما يجعلها تلامس شغاف القلب وتطرق أبواب الروح بقوةٍ ندرت في أيامنا هذه، أيامنا التي صار فيها الكثير مما يُكتب أو يترجم من الشعر متشابهًا، رتيباً، ممجوجاً كأوراق بيروقراطي عجوز! وأحسب أن هذه القدرة على هزّ القارئ هي ما يفرق الشعر الإنساني الخالد عن أشباه الشعر!

I

سنبلةَ قمحٍ كان

إلى أبي

ملا طيب البزاز

سنبلةَ قمحٍ كان

يشماغانِ فوقَ رأسهِ.

شجرةَ تفاحٍ كان

قميصٌ وصُديريٌّ

ومعطفٌ وسروالٌ على جسده.

فـي يدِنا كانَ الخبزَ والتفاح،

وفوق رؤوسنا

كان الضوءَ والأفياء.

حين نزلتْ عليهِ أيامُ الحصادِ

وريحُ الفناءِ داهمَتهُ.

كان نصفه يابساً

ونصفُهُ الثاني مُصفَرّاً

ثلاثةٌ من بَنيهِ تحتَ الترابِ

اثنانِ فــي شعابِ الجبالِ

وأنا الشريدُ

فــي أقاصي الأرض

تسعُ سنونٍ ثقالٍ مضينَ

حتى وقفتُ على رأسهِ

عصرَ يومٍ لاهبٍ

وصرتُ شاهدةً من دموعٍ

وعلى قبرهِ استحلتُ

تراباً وحجارة

2016 /5 /20

لا ريحَ تقلُّني
لا ترابَ يحملني

"أينك يا موت..
الحياةُ قتلَتني"
أنا وريقةٌ وحيدةٌ
صفراءُ شاحبةٌ
عالقةٌ، فـي آخرِ الخريفِ،
بأعالي الغصون.
لا نسمةً تقلّني
لا أرضَ توطِئُنـي أديمَها.
النهاراتُ الظلماءُ القِصارُ
والليالي الحالكاتُ الطِوالُ
تلتفُّ حولَ عنقي
كأفعى رماديةٍ.

وأنا.. يقتُلنــي الحنينُ

لشهقةٍ من ريحٍ

وقبضةٍ من ضياءِ الشمس.

...

من فوقِ الجبالِ

من فوقِ البحارِ

مثل ريحٍ مُسرعةٍ

ثمةَ خنجرٌ يلبّي استغاثتي

أصلُهُ فــي كفِّ "مَتين"[1]

ونصلُهُ فوقَ قلبي.

---

[1] متين: سلسلة جبلية شامخة شمالي دهـوك تحتضــن العديـد مـن المـدن والمنـاطق السياحية والمواقع الاستراتيجية.

فــي هذا الهزيع

نداءاتُ "نالبَند"[1]

وهتافاتُ "شكويي حَسَن"[2]

ترنُّ فــي الروحِ

مثلَ الصدى:

– لا تَخَفْ!

لا لن يؤلمكَ.. لن يؤلمك!

...

ألا يا حَجَلَ مَتين

ألا يا سنونوَ "ألَكَزى"[1]

---

[1] الشاعر أحمد أمين نالبند أو أحمد بـامرني: ولـد عـام 1890 في منطقـة بـامرني–بهدينان لأسرة فقيرة. عانى في حياته من مصاعب وكوارث مؤلمـة قادتـه إلى حيـاة كئيبة متشردة. أنهى حياته عام 1963 ويقال إنّ الناس كانوا يرونـه قبيـل انتحـاره يحمل سكيناً وعندما كانوا يسألونه عن ذلك كان يقول: إنَّ في بطني شـيطاناً أريـد أن أخرجه!! طبع ديوانه بخمسة أجزاء عام 1997.

[2] شاعر كوردي من أرمينيا ولد عام 1928 أقدم على الانتحار بإسقاط نفسه مـن بناية شاهقة في نوبة من اليأس والقنـوط عـام 1976. وإلى هـذا يحيـل الشـاعر في تشبيهه بالسنونو. له أربعة دواوين شعرية.

أنا والألمُ توأمانِ

أنا والألمُ جئنا معاً للحياة.

ورضعْنا من ثديٍ واحدٍ

وكبرنا فـي حضنٍ واحد.

الألمُ جِلدي

الألمُ دمي

الألمُ عمري الذي مضى

وأياميَ المُقبِلات.

آخذُهُ، كلَّما التقينا، ويأخذني

بالأحضان!

لا لستُ "بيتوس"[1]

---

[1] سلسلة جبلية في أرمينيا تطِلّ على العديد من القرى الكوردية.

[1] يروي المؤرخ (بليني) أن القائد الروماني بيتوس (Paetus) قد حكم عليه بالموت لاشتراكه في مؤامرة سياسية ومنح (كما جرت العادة) شرف قتل نفسه نظير احتفاظ أسرته بحقوقها المدنية. وعندما علمت زوجته بتردده أقدمت على طعن نفسها أمامه ثم ناولته الخنجر وهي تقول له (Paete, non dolet) أي إنه لا يؤلم يا بيتوس.

ولا أخافُ الموتَ،

لكنَّ لي

فـي أكنافِ "كيليا شَدا"

قبالة "كيزَبَرا"

على مرمى حجرٍ

من "كورا شمكزَرا"[2]

أمّاً عجوزاً

ثُكِلت بثلاثةٍ من بنيها

أنجدوني!

يدي لا تطاوعني..

لأجعلَهُم أربعة!

كاترينا هولم

1988

---

(2) كيليا شَدا، كيزبَرا، كورا شمكزَرا: مناطق في دهوك القديمة.

القصيدة

في آخر الليل تأتي
كما في كل مرَّة
تُخرِجني من فراشي
وتبقيني ساهراً
إلى أول الصبح
لستُ أدري
كيف ومتى
أغطُّ في النوم

لكن حينَ تعلو الشمسُ في الضحى

ويتصبّبُ العرقُ

من زجاج نافذتي

أفتح عيني

فأراها تركت لي

على وسادتي

ورقةً بيضاءَ

كحقلٍ من أخضر القمح

تتمايل سنابلهُ

في شمسِ الربيع

لن تنساني الريح

نجمةٌ أنتِ

هوتْ وسطَ قلبي

أوقدَتْ ناراً في حَشاي.

وأنا، في حالكِ الليالي

في مُعتِمِ النهارات

بهَديِها أسير.

وأعرفُ أنَّ يوماً سيأتي

تنطفي به النار

وأستحيلُ أنا.. لرماد.

وسينسى الليلُ أحلامي

سينسى النهارُ خُطاي

وتنسينَ أنتِ.. لونَ عينيَّ.

بيدَ أنَّ الريح لا تنسى:

ستَهَبُ البحرَ يديَّ

ستقودُ أقدامي إلى الغاب

سترفعُ عينيَّ نحو نجمةٍ

وتحطُّ بقلبي

على جبلٍ بكوردستان.

..

يومها لن يكويَ الحرُّ قلبي

مهما لفحتهُ الشمسُ

لن يلسعَ البردُ فؤادي

مهما غمرهُ الثلجُ

ولن يُصيبَهُ جرحٌ مهما سُدِّدت له

سهامُ جورٍ وخناجر غدر

يومها لن يبالي

بآلهةِ حربٍ ولا خير

لن يسمع أذانَ مسجد ولا ناقوس دير

وفي كل ربيع

سيغدو خيط عشبٍ نديّ

وساقَ زنبقة فارعة

...

لم أكن في الوجود؛

للمَتْني الريحُ

نصبَتني على قدميَّ.

جئتُ للوجود؛

حملَتِ الريحُ قلبي على صهوةِ أحلامي

صوبَ البراري والجبال.

ويوم أفارقُ الوجود

لن تنسانيَ الريح

وفي كل ربيع

سأعود ساقَ زنبقةٍ وخيطَ عشب

في كل صباح

أحتسي الندى

وأنصبُ صدري .. للريح.

سِرّ

صغيراً كنتُ

وكان مراهقًا..

أنا وأخي

في مساء متأخر

عدنا إلى البيت

على عتبة الباب

تلقى صفعة

إذ فاحت من فمه

رائحة التبغ

أما أنا..

فصفعتين إذ فاح من فمي

عطر قبلة

من ابنة الجيران

لكنّ الأمر

ظل سراً

بيني وبين أمي

امرأةٌ من عنب

كلما أبصرتُكِ
ثملتُ بك.
لستُ أدري
أأنتِ امرأةٌ
أم كأسُ خمرٍ مُترَعَة؟

آدمُ
خُلقَ من طين.
الملاكُ المتمردُ
خُلق من نار.

أنا..

من كثيب ثلج.

وأنتِ، فِي ظَنّي،

من عنقودِ عنب!

دهوك

2017 /9 /5

لو أن شجرةً تزوجتني

لو أن شجرةً تزوجَتْني
لأشعَلَتْ كلَّ شتاءٍ
يَديها وأناملها
لتُبقي كانونيَ موقَداً
وإبريقَ شايي ساخناً

لو أنَّ شجرةً تزوجتني
لأحالت كل ربيعٍ
فراشي عشباً
ولحافي زهوراً

لو أنّ شجرةً تزوجتني

لانتصبتْ كل صيفٍ

ظلاً بارداً

وعريشةً خضراءَ فوق رأسي

لو أنَّ شجرةً تزوجتني

لاستحالت بعيني كلَّ خريفٍ

لوحةً زاهية

وأغنيةً شاجنة

لكنَّ امرأةً أبهى من كلّ الشجر

تزوجتْني ووضعتْ بكفي

زهراتٍ أربع

أجملَ من كل الزهور

هنَّ فصولي

هنّ دفئي ونسيمي وظلّي وأغنياتي

هن أزهى لوحاتي

وأعذبُ قصائدي

ما لي وللشجر!

قديماً أبدلَ أبي

غابة وارفة

عرضها السموات والأرض.. بامرأة!

وما اغتمَّ يوماً

ولا ندم!

وداع

حين تستأذنُ الشمسُ

السماءَ بالرحيل

تضيءُ السماءُ مشاعلَها كلّها

وحين تودعينني

لا أملكُ غيرَ عينينِ

أطفِئْهما معاً.

سؤال

سألَتْني:

- كم تخافُ الموتَ؟

أجبتُها:

- قدرَ خوفـي

من أن تتركيني

وحدي

بهذا الليل!

امرأة

امرأةٌ سرقَتْ ضلعي
أرغبُ فـي جسدها
امرأةٌ ذهبتْ بقصيدتي
أتوقُ الى حبِّها
امرأةٌ خطفتْ قلبي
لا أريد شيئاً منها!

رسالة

تلك الرسالةُ التي

لم أجرؤ على

دسِّها فـي يدِك

لم تزل جرحاً فاغراً

يَسيلُ دما

...

تلك الرسالة التي

لم أجرؤ على

دسِّها فـي يدك

ما مرَّ نهارٌ

إلا واعترضَتْ طريقي

وتحاشيتُها -أنا المكللُ بالحزنِ والخجل-

وما مرّتْ ليلةٌ

إلا وَزارَتْني فـي الأحلامِ

وسعيتُ -أنا النادمُ المَشوقُ-

كي أشبعَ ناظري منها!

سنونو

لم أكن غيرَ طفلٍ صغيرٍ
ولم تكوني غيرَ طفلةٍ أصغرَ.
كلّما أبصرْتُك
تتحولُ عينايَ
من بُرعمينِ لوردتين
وجسدي برمّتِهِ
يستحيلُ قلباً
يمتطي صهوةَ الريح
كطيرِ سنونو
يحلِّقُ صاعداً نازلاً
فـي السماء.
...

كبرتُ

واستحالت أعيني

مراتٍ ومرات وروداً،

وأنا قلبًا أستحيلُ.

لكننـي أبداً

لم أعُدْ من جديد

سنونواً

يحلقُ فـي السماء!

تلكَ روحي لا الخريف

مُذ ليلةٍ غابَ فيها

رأسُكِ عن وسادتي

أضربتِ الشمسُ

حبسَتْ نفسَها

فــي فمِ تنّين الليلِ

هناك.. خلفَ جبالِ قاف.

...

مذ ليلةٍ غابَ فيها

رأسُكِ عن وسادتي

روحي استحالتْ

وريقةً صفراءَ شاحبةً

تذروها الرياح.

...

لو مرّتْ ذاتَ يومٍ

قُبالةَ شبّاككِ

لا تقولي: ما أسرعَ دبيبَ الذبولِ

لأوراقِ الشجر!

لا تقولي: ما أسرعَ قدومَ الخريف!

لا.. تلك روحي

لا الخريف.

2016

منديل

ذاكَ المنديلُ الذي

به مسحتُ العرقَ

من محيّاكِ

فــي تلك الظهيرةِ التموزيةِ

لم يزلْ فــي يدي

حقلَ نرجسٍ جبليٍّ

وسربَ فراشاتٍ

سَكرى ملوَّناتٍ

لا تكفُّ عن الطوافِ

فــي الصبح والمساء.

لكنكِ

لم تأتي يوماً

لتقطفي منه نرجسةً

تغرسينها بسالفَتِك.

أمّا أنا فلا أعرفُ للآن

كيفَ –فــي قيظِ الصيفِ،

فــي فورةِ العشقِ–

غمرَ الجليدُ قلبَك

وأطاحَ البردُ بحبِّنا

لا أعرفُ للآنَ

–فــي أزقَّةِ هذي القريةِ الصغيرةِ التي

يدعونها العالمَ–

كيف أضَعنا بعضَنا البعضَ

للأبد؟!

الأحلامُ نجوم

ثمة أحلامٌ

تشبه النجومَ:

لا تبلغها أيدينا

بيدَ أنها

فــي ليالي السهاد

تُنزِلُ السكينةَ على القلب..

مثلَ النجوم..

مثل النجوم

...

أنتِ.. ذاكَ الحلمُ

أنتِ.. تلكمُ النجمةُ

وأنا

أنا ذاكما القلبُ واليدُ

أنا تلكما الحسرةُ والأسى

2013

تلك الرسالة التي
لا تحطُّ في بريدي

مثل أمّ تؤوبُ من حلبِ أبقارِها
أو تتركُ الغسيلَ وتهرع
لتكشفَ مهدَ صغيرِها
هكذا أجيءُ
وبكلِ دفءٍ
أفتَحُ صندوقَ بريدي!
لكنّ صندوقي
كحزامِ طلقاتٍ
لـ "ثيَشمةرطةٍ" قُبيلَ الصباح

فارغٌ، لا شيء فيه!

حبيبتي، يا حبيبتي

أنا رهينُ انتظارٍ

لرسالتك

رسالتك التـي مثلَ عندليبٍ طليق

يصدح فـي الجبال

لا فـي قفصٍ بريدي!!

...

رسالتكِ

ملحمةُ عشقِ "زين"[1]

يرسلها "مةمى ئالان"

وساعي البريدِ

ليس سوى "بةكروك"!

ستوكهولم

1983

[1] زين حبيبة مَم في ملحمة مَم وزين الشهيرة أما بَكروك فهو الشخصية الشريرة التي توقع بينهما.

جناية

(هذا جناهُ أبي عليَّ   وما جنيتُ على أحد)

أبو العلاء المعري

مِن عاتِقِ العَدَمِ

ألقَوني وسطَ أشواكِ الوجود.

وألقيتُ أنا الآخرُ

أربعَ فراخٍ غافياتٍ

من عشِّ العدمِ

لسكاكينِ الفناء.

...

لو وقَفْت يومَ الحشرِ

أمامَ عرشِ اللهِ

خاشعاً

سيكونُ ذاك

ذنبــيَ الوحيدَ.

ولكن يا ترى

أثمّةَ جنايةٌ

أفدحُ منها؟!

دهوك

2010

II

الطوفان

إلى صديقي

الروائي حسن مَتي

قبلَ أن يظهر البشر

قبلَ أن يقيموا ظهورَهم

ويسيروا فـي الأرضِ

كانتِ السماءُ أصفى

والنجومُ أسطعَ

والبحرُ والغابةُ أزهى

والبيدُ والجبالُ أبهى

قبلَ أنْ يظهر البشر

قبلَ أن يقيموا ظهورَهم

ويسيروا فـي الأرضِ

كائناتُ البَرِّ كلُّها

كانتْ أكثرَ انعتاقاً

وتلكَ المائيّةُ

أكثَرَ سَكينةً

قبلَ أن يظهر البشر

كانَ البشر نفسهم

أكثَر هناءً.. أكثرَ سَعدا.

...

أيْ إلهي العظيم!

قدْ أعليتَ الطوفانَ،

فعلامَ السفينةُ؟

وأنجيتَ نوحاً

فما شأنُ ذرِّيَتِهِ؟

دهوك

22/ 5/ 2016

سيزيف

حِملُهُ صخرةٌ

ودربُهُ مُصعِدٌ عسير.

حكايتُهُ أسطورةٌ

مِلؤُها السأمُ والعذاب.

لا يعلمُ غيرُ الله

كم ملَّ من نفسهِ ومن صخرتِه.

غيرَ أنّ السماء

لا تشبعُ من عذاباتِه

ولا تملُّ من سأمِهِ.

كلَّما تدحرجَتْ صخرتُه

ودَنت أسطورتُهُ من خِتامها

صاحَ زيوسُ

مثل طفلٍ فرِح:

أعِدها، أعدها من جديد!

28/ 5/ 2016

هوَ

هوَ

سنٌّ لبنيَّةٌ

لا تغادر لِثاتَنا

هو

ريحٌ فاسدة

أطلقها التاريخُ

هو

كابوسٌ بهيم

يجثم على غدنا!

دهوك

2016

المسخ

قبل أن يدهَمَهُ الجوعُ

قبل أن يجربَ العطشَ

راحَ يلتهمُ الغابةَ تلو الأخرى

ويعبُّ

نهراً بعد نهر

...

بعد يومٍ

نثرَتْ سبعُ صحارى

غبارَها فوقَ هامتِهِ

حشرتْ سبعُ بحارٍ

ملحَها فـي فمِه

غدا جبلاً

عاصفاً مُترِباً

ما رأى مطراً فـي نهارٍ

ولا ثلجاً بليل

أكلَ الغبارُ رأسَه

وذرتِ الريحُ

جسمَهُ فوق الترابَ

ويومَ ماتَ

لم تذرفْ نجمةٌ

دمعةً لأجلِهِ

وما بللتْ جسمَه

قطرةٌ من مطرٍ

ولا فتحَ الترابُ

أحضانَه له!

ماتَ وانقضى

بيدَ أنهُ

خلّفَ من بعدهِ

ريحاً صَرصرا

تملأُ للأبدِ

الأرضَ ملحاً

والسماءَ ترابًا.

قد ماتَ وانقضى

بيدَ أنهُ

خلّفَ من بعدِهِ

أسطورةً أصابتْ للأبدِ

أرضَنا بالدوارِ

وأغرقَتْ للأبدِ

الأمسَ بالشرورِ

والغدَ بالدماءِ

والعيشَ بالأقذاء!

دهوك

2015

داعش

من حِجرِ الموتِ سقطتَ

عفريتٌ قطعَ سُرَّتك

سعلاةٌ ألقمتكَ ثديها

غذَتْكَ المجاعةُ بحليبها

والخوفُ ربّاكَ.

رؤوسٌ بلا قلوبٍ

نصبتكَ سلطانا

وقلوبٌ بلا رؤوس

سمَّتكَ خليفة

وها أنتَ ذا

لم تبقِ قلباً عامراً
إلا نهبتَهْ،
ورأساً ناضجاً
إلا قطفتَهْ.
كرملِ الشطآن غدا جيشُكَ،
وتهاوتِ الرؤوسُ..
تساقطتْ كأوراق الخريف.
هي ذي الأرضُ كلّها
نعلٌ لأقدامكَ.
هي ذي السماءُ طاقيةٌ لرأسكَ.

وهذي الحياة، بأفياء عرشك،

أذانُ موتٍ يُرفَعُ كل يومٍ،

سبع مراتٍ ينادي:

ليحيا الموت!

ولتمتِ الحياة!

2015

ثمةَ رسالةٌ تحت التراب

تحتَ الترابِ

ثمةَ رسالةٌ

ما رآها أحدٌ

ما تلاها أحد،

ولا يتذكرُ أحدٌ

متى صارت زلزالاً

هزّ ذي الدنيا.

...

تحتَ الترابِ

ثمةَ رسالةٌ

خطَّها الحبُّ والحقدُ معاً

وحطَّتِ آلهة الخيرِ والشر

إمضاءَها عليها

تقدِّمُ يداً

وتستلم أخرى

وأنهارُ دمٍ

مُخبَّأةٌ تحتَ حقولٍ من النار

إن لم تغلق عينيكَ الاثنتين

ولم تقتلعْ قلبكَ

من الجذور

ولم تقطْع رأسكَ

لن تقدرَ أن تراها

ولا أن تقرأها

...

تحتَ الترابِ

ثمةَ رسالةٌ

لا يعرفُ أحدٌ

إن كانت حقيقةً

أم محضَ أسطورةٍ وخيال

لكنها، تلك الرسالة،

لو يومًا

رفعت رأسَها من تحت التراب

لرأيتَ رؤوسَنا كلّها

تحت التراب!

...

يا هذي الرسالةُ التي

ما رآها أحدٌ

ما تلاها أحد

يا قلعةً عصيّةً

هزمَتْ جيشاً بعد جيش

وما أسلمتِ القيادَ!

حلَّفتُكِ بمن كتبكِ

ومن لم يكتبكِ

امكثي تحت التراب!

واظِبــي على هزِّنا وهزِّ دنيانا

لكن

كيدِ أمّ حانيةٍ

لا مثلَ زلزال

وريح عاتية!

دهوك

2015

اللوحةُ الرابعة

مِن أجواءِ السماواتِ
قطفتُ تليدَ الكلماتِ
عنقوداً فعنقودا.
من الأرضِ التقطتُ
حبَةً حبَةً
كلَّ ذنبٍ كبير
ورسمتُ بهم
لوحاتٍ أربعًا
...
الأولى

علّقتُها على جدارِ الأمسِ

الثانيةُ

على سقفِ اليومِ

الثالثةُ

على أفقِ الغدِ

والرابعةُ

ظلّتْ بقلبي

ولسوفَ تصحبُني

تحتَ التراب.

...

لا أندمُ على أمسي

لا أنفرُ من يومي

لا أقلقُ من غدي

لكنَّ خوفـي فـي ساعةِ الحشرِ

يومَ يعلو الضجيجُ

ويتزاحمُ الكفرُ والإيمانُ

أن لا تعرفَني

ولا أراك!

البسطامي[1]

البسطاميُّ

ملأَ الجحيمَ عن آخره

فما عادَ يسعُ المزيدَ.

والجنةُ لعبةُ صبيان.

فيا إلهي

ماذا سنفعلُ

نحنُ الكبارَ

وأينَ نولّي وجوهَنا

يوم الحشر؟!

2015

[1] أبو يزيد طيفور بن عيسى البِسطامِي، هو صوفي مسلم من أهل القرن الثالث الهجري، يلقب بـ"سلطان العارفين". ولد سنة (188 هـ) في بسطام في خراسان. روى عن إسماعيل السدي وجعفر الصادق. توفي سنة (261 هـ). قال بوحدة الوجود ومن أقواله الشهيرة: ما النار؟ لأستندن إليها غدا وأقول: اجعلني فداء لأهلها، وإلا بلعتها. ما الجنة؟ لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا.

أسئلة

يسأَلُ الصغارُ

أسئلةً كبيرة

وكلما كبروا

صغُرت أسئلتهم!

...

الكبار الذين يُكثرونَ الأسئلةَ

أطفالٌ

ما كبروا

أفراسُ بَرارٍ

لم تعرفِ اللجام.

...

الأسئلةُ

بَتَرتْ من الرؤوسِ

أكثرَ من حدِّ السيفِ،

خاطتْ من الأفواهِ

أكثرَ من رؤوسِ الإبرِ،

وكَوَتْ من الألسنِ

أكثرَ من جمراتِ النار

...

الرؤوسُ التـي بُتِرتْ

الأفواهُ التـي خيطتْ

الألسنُ التـي كُوِيَتْ

كانت نجومًا

احترقَتْ فـي السماء

وورودًا

ذبلتْ بين الأقدام.

دهوك

2016

قالَها واحترق

إلى

الحسين بن منصور الحلاج

- الله نورٌ لكن لا أحد يراه

قال الأعمى

- الله صوتٌ لكن لا أحد يسمعه

قالَ الأصمُّ

- بل اللهُ قولٌ لكن لا أحد تفوه به

قال الأبكمُ.

أنتَ رأيتَ نوره

أنتَ سمعتَ صوته

وفتحتَ جبّتَكَ، لفظتَ اسمه!

أنتَ كفرتَ،

صرتَ رماداً منثوراً

على وجه دجلة.

لكن وجهك ظلَّ متورداً

كشقيقةِ نعمانٍ حمراء

واصفرَّ وجه جلادك، شحب.

...

آهِ يا وجه الغدر

ما أبشعك!

هكذا تكلَّم الحلاّج

لكُم يدايَ
لكنكم، أبداً
لن تقدروا
أن تتسلقوا بهما
جَبَلَ روحي
لكُم ساقايَ
لكنكم، أبداً،
لن تقدروا
أن تفرّوا بهما
مِن طوفانِ قلبي
لكُم ذراعايَ
لكُم ساقايَ
ولي روحي.

غرابُ نوح

إلى

A.W. Merwin

ولماذا أعود؟

كي تنثر في الأرض

بذور طوفان جديد؟

كي تُغضِبَ السماء

من جديد؟

ومن يضمنُ، يا سيدي

بأنك ستملك الوقت

كي تبني فُلكاً جديداً؟

وحتى لو بنيتهُ،

من يضمن بأنك ستختارني،

أنا وحبيبتي،

من بين كلّ الغُربان

لنركبَ معك؟

ولماذا أعود؟

قالَ في سِرّه

وأمسك يدَ حبيبتهِ

وأطلقا جناحيهما للريحِ

ولم يعودا.

III

عراق

الشمس أجمل في بلادي من سواها والظلام

حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق

بدر شاكر السياب

ليلُهُ ذئابٌ

نهارهُ

ذبحٌ وحِراب.

من غابرات العصور

يشقُّهُ من الأنهارِ

ثلاثةٌ:

دجلةُ

والفراتُ

والدم!

...

دجلةُ شاخَ

لم يعُد يقوى على الوقوف

والفراتُ

يوشكُ أن يهلكَ من ظمأ،

غير أنَّ الدمَ

لمّاَ يزلْ

سيلَ ربيعٍ

لا تصدّهُ سدود!

...

ولو أن كلكامشَ الجبارَ

عادَ إلى الحياة

لارتضى أن يهونَ

عبداً على بابِ خمبابا،

أو لَمَضى

باحثاً عن جرعةٍ من زُعاف!

ولَصَبَّ أنكيدو

لعناتِهِ

على يومٍ

انتصبَ فيه كالبشر،

وأدارَ ظهره

للقرى والمدائنِ

وفرّ صوبَ البراري

فرّ صوبَ الجبال!

...

أيها الإلهُ الكبيرُ

وأنت فـي عُلاكَ

تبصرُ أوجاعَ عبيدكَ

فلتمسحْ بيدٍ رحيمةٍ

على هامةِ هذي البلاد

وإلا فاستعِد منها.. أمانتك!

...

خَلقُه شِياهٌ

ليلهُ ذئابٌ

نهارهُ مُدى ورؤوسٌ تهوي

وثمةَ تصخبُ فيه

أنهرٌ ثلاثةٌ

كلّها قرمزيٌ

كلّها من دماء!

بغداد

2011

مقبرةٌ تلفظُ أنفاسها

دجلةُ والفرات

ساقيتانِ من دمعٍ

تسيلانِ على وجهِ مقبرةٍ

اسمُها

العراق.

...

العراقُ مقبرةٌ

تتقلبُ فــي حُمّى

سكراتِ الموتِ

وتفتّشُ فــي صفحاتِ التاريخِ

عن قبرٍ يضمُّها

قبلَ أن يشوّهوا

كلَّ شواهدِها

قبلَ أن يهتكوا

كلَّ موتاها

...

يا صغاراً

تعلموا الوقوفَ حديثاً!

أيها العجائزُ والشيوخُ الذينَ

ما زالوا قادرينَ على الانتصاب!

ارحلوا

أو كفّوا عن الموتِ

فلم يبقَ فــي هذهِ المقبرةِ

مكانٌ لقبرٍ جديد!

...

دجلة والفرات

كَفّانِ حزينتانِ

تُطبقانِ عينَين مفتوحتينِ لمقبرةٍ ميتةٍ

اسمُها:

عراق!

دهوك

2016

لا الموتُ يبغيني.. ولا أنا الحياة

أنا

يدانِ دونَ قلب،

فـي هذا البحر الهائج المجنون.

علامَ إذن أسبحُ وأعوم؟

هلمُّوا، يا كل وحوش البحر!

هلموا إليَّ!

فهل من شرابٍ،

بهذا البحر المرّ الأجاج،

أعذبُ من دمي؟

...

أنا

رجلانِ دون رأس،

فــي هذي الغابةِ الظلماء.

فعلامَ ركضي وفراري؟

هلمّوا يا كلَّ وحوش البرّ!

هلموا إليّ!

فهل من طعامٍ،

بهذي الغابة الشائخة العجوز،

أطرى لكم من لحمي؟

...

أنا

رأسٌ وقلب

دونما يد ورجل.

واقف أنا مذ وعيت،

على ذا المفرق الذي

لا يؤدي لطريق

أرتقي كصخرةِ سيزيفَ

سفحَ ذا الجبلِ

أتدحرجُ

أهوي

أصعدُ من جديدٍ

لا أفرحُ بارتقاءٍ،

ولا أشبعُ من سقوط!

...

من أنا؟

لا أنا

لا أنت

لا هو

كائنٌ عجيب

عناني أحبُّ إليَّ من رأسي

قيدي أحب إليَّ من يدي

الخنجر الغائرُ بظهري

أحبُّ إليَّ من جرحي

وجلّادي..

أحبُّ إليَّ من روحي!

...

من أنا؟

كائنٌ أغربُ من الغريب

لا الأرضُ مفرشي

لا السماءُ لحافي

لا الآلهة تعرفني

ولا الشيطان

لا الموتُ يبغيني

ولا أنا الحياة!

...

من أنا؟

كائنٌ فقدَ الرجاء

من الأرض والسماء.

ساعةَ أجوع

لا أريدُ خبزاً

خوفاً من النهب والمجاعة.

ساعة أعطشُ

لا أبتغي ماءً

خشيةَ الطوفانِ والغضب.

وحين أموت

لا أرغبُ بالقيام

من قبري الضيّق الحالك

خوفاً من رحمةٍ

ويومَ حشرٍ وميزان!

ماذا أنا؟

لا أنا

لا أنت

لا هو

خرافة غريبة

وكائن أغرب

لا الأرض تعرفني

ولا السماء

لا الموت يبغيني

ولا أنا الحياة

أنقره

2016 /7 /9

لا أكبرَ من جرحكم.. إلا الله

إلى الذكرى المئوية لإبادة الأرمن

مئةُ عامٍ وهذا الجرحُ
يمضي صاعدًا فـي أرارات.[1]
مئةُ عامٍ وهذا الجرحُ يغلي
فـي وانَ وسيفان[2]
مئة عام وهذا الجرح
يمضي نازلاً

[1] أرارات: هو أعلى جبال هضبة أرمينيا. يقع حاليا داخل الأراضي التركيـة، غـير بعيد عن الحدود الأرمينية-التركية-الإيرانية-الأذربيجانيـة. يـرتبط الجبـل بعـدة ديانات وينص العهد القديم على أن سفينة نوح قد استقرت على قمته، كـما يحظـى بمكانة قومية كبيرة لدى الشعب الأرمني في الوطن الأم أو دول المهجر أو الناجين من المذبحة حتى إنَّ صورته تتوسط شـعار جمهوريـة أرمينيـا منـذ اسـتقلالها عـام 1991.

[2] وان وسيفان: بحيرة وان أكبر بحيرة في تركيا، وهي إلى جانـب بحـيرة سـيفان (التي تقع في جمهورية أرمينيا) وبحيرة أورمية (التي تقع في إيران) تشكل مـا كـان يعرف ببحار أرمينيا الثلاثة.

مع أمواجِ دجلةَ والفرات

ينادي.. يستغيث

ومئة عام

يُخزي سلطانَ عثمانَ، يفضحُه!

...

يا سلطانَ الغدر

يا عارَ التاريخ

وخزيَ يومِ الحشرِ.

ألا فانظرْ

إنه نيسانُ، نيسان.

وهذه الحمرة التي

تلوّنُ السهولَ والجبالَ

ليستْ ورودَ نيسان،

ليستْ غيرَ قطراتٍ

من دمِ الأرمنِ الذي

خالطَ التراب.

أيا سلطانَ الغدرِ

هذي الشآبيبُ التـي تُمطرُها السماءُ

ليست زخّاتِ نيسان.

هذا صراخُ الأرمنياتِ،

صراخُ صغارِهم.. أنينهُم واللعنات.

أيا سلطان الغدر أنصِتْ:

هذي الأصواتُ التـي تملأُ الأرضَ والسماء

ليست بروقَ نيسان.

إنّها صرخاتُ أطفالِ الأرمن

قبل أن تهوي سيوفُك على رقابهم الغضّة.

...

غيرَ أن السلطانَ

أعمى لا يرى.

غيرَ أن السلطانَ..

أَصَمُّ لا يسمع.

...

مئة عام وهذا الجرح

يتسلقُ أرارات.

مئة عام

يغلي فـي وان وسيفان..

لكنه، يوما،

سيفجِّرُ نفسَه

فـي حقدِ جلّاده.

يومها

سيَبلى تاجُهُ والعرشُ

فــي مزابلِ التاريخِ،

ويومها

سيمسحُ أراراتُ الدموعَ

بمنديلهِ الثلجيِّ

عن عينِ وانَ وسيفان.

ولن يخبو أبدًا بعدَها

مشعلٌ فــي يدِ "تمار"[1]

---

(1) تقول الأسطورة الأرمنية إن تمارا كانت أميرة حسناء تعيش في جزيرة وسط بحيرة وان (في أرمينيا التاريخية) عشقها شابٌ من العامة كان يقطع البحيرة سباحة كلّ ليلة ليلتقي بها مهتديًا بضوء مشعل تحمله له في جزيرتها. وفي أحد الأيام اكتشف والدها الأمر فانتزع المشعل منها وحطمه فحارَ الفتى وأضاع الطريق وغرق وهو يصيح (آخ تمار). وتضيف الأسطورة إن صيحة الفتى العاشق ما زال صداها يتردد في الليالي وإن الجزيرة سميت (آختمار) لهذا السبب. ورغم أن الأتراك احتلوا البحيرة وجزيرتها وضموها إلى بلادهم فإنَّ الأرمن لم ينسوا الجزيرة وأميرتها فأقاموا لها تمثالاً على ضفاف بحيرة سيفان التي ظلت بأيديهم.

قبرٌ في الجبل.. قبرٌ في السهل

(يدايَ الاثنتان قُطعتا

يوم احتضنتنا الغيوم)

"بودلير"

بيدهِ غسلَ يدَه

بيدهِ كفّنَها

بِشِقّ من قماشِ محزَمهِ

بيدهِ

دفن يدَهُ

ونصبَ فوقها شاهدةً بيضاءَ

وبيدهِ كذاكَ

خطَّ عليها:

"هذي الكومةُ من باردِ الترابِ

ليستْ قبراً لطفلٍ

ولدتهُ أمُّهُ فـي دروبِ النزوحِ

وماتَ بين يديها.

ليست بقايا لعبةِ تهديف

شغلتْ حفنةَ صغارٍ

حتى داهمهُم المساء.

هذا شاهدٌ

ليدِ بيشمركةٍ

تنتظرُ اليدُ الأخرى..

فأبرئ ذمَّتَهُ يا وطن!"

...

حين تصدعتْ

يدُهُ الثانيةُ

وأعضاؤُه تساقطتْ كلُّها

لم يكن هناكَ

كي يلمَّها من التراب،

كي يضمَّها لصدرِهِ مثلَ رضيعٍ

ويُسلِمَها

لقبرِهِ الأول.

...

حفروا له قبراً ثانيًا

أكبرَ من ذاك

غرسوا فوقه شاهداً

أصغرَ من ذاك.

...

الشاهدُ الجديدُ

لم يزلْ ينتظرُ يدا

لتخطَّ عليه:

"هذا قبرُ بيشمركةٍ

لم يحظَ فـي كلِّ عمرهِ

بشبرٍ من الأرضِ

لهُ الآن قبرانِ

واحدٌ فــي الجبلِ

واحدٌ فــي السهلِ

واحدٌ صارَ مربضاً للأغنام

واحدٌ عتبةً

فــي قصرِ قاتِله!

سامحكَ اللهُ يا وطن!"

دهوك

2015

على ظهرِ زلزلةٍ وريح

(أنا ملكٌ لكنني لا

أملكُ سوى آلامي)

شكسبير/ ريتشارد الثاني

عرشي همومٌ

وتاجي أحزان!

فــي كل ليلةٍ

ينهارُ لي خندقٌ

وفــي كل نهار

شطرٌ من عاصمتي

يستحيلُ مقبرةً!

...

أميرٌ أنا

آهلٌ بلاطي

قِبلةٌ هو

لكلِّ يدٍ وفم

وحولي من الأربعةِ الأطراف

لصوصٌ وقُطاعُ طريق.

أكبر اللصوص:

كفٌّ ملأتُها أنا،

وكلبٌ

أضريتهُ أنا!

...

أميرٌ أنا

عامرةٌ قلعتي

شامخِةٌ عصيّةٌ كالجبال

لكنها

على ظهرِ زلزلةٍ وريح.

عن يمينـي والشمال

ضوارٍ ووحوشٌ كاسرات.

وجيشي

جرادٌ حطَّ على جنائني.

جيشي زنابير

تنهشُ روحي.

...

أميرٌ أنا

ذي قلعتي

ذا بلاطي

ذي عاصمتي

ذا تاجي وعرشي

هاكموها!

هنيئاً لمن يريد!

ولكنْ فليضَعْها على هامته،

على جناح الشمس

لا أنْ يحيلَها

منفضةً للسجائر

على طاولةِ شاهِ العجم

وعاهلِ الروم

أو مسبحةً

تعبث بها أصابعُ

خليفة العراق والشام!

...

أميرٌ أنا.

ليتنـي أبدلتُ تاجي وعرشي

بقلبٍ نديّ

وحلمٍ رضيع.

ليت لي مكانَ قلعتــي وبلاطي

باقةً من برنواتٍ قديمة[1]

وأربعةَ خنادقَ عامراتٍ

ليتنــي ما كنتُ قَطُّ

قريبا كما الآن

وبعيدا كما الآن

من حلمي القديم.

ليتني... ما كنتُ أميرا!

...

---

(1) البرنو: بندقية نصف آلية أخذت اسمها من مدينـة (brno) في تشيكوسـلوفاكيا التي صنعت فيها أول مرة في أواسط العشرينات من القرن المـاضي وكانـت لفـترة طويلة السلاح المفضل للثوار الكرد (البيشمركة).

غير أنني

ما زلتُ أميراً

ما زالَ عرشي هموماً

وتاجي أحزانا!

وفـي كل ليلةٍ

يُهجَرُ لي خندقٌ

فـي كلّ نهار

شطرٌ من قلبي.. يستحيلُ مقبرةً!

بغداد

2013

النهرُ الذي صار مستنقعاً

ساعةَ انبثقتَ
من قلبِ ذاك الجبلِ الأشمِّ
الملتحفِ بالثلوج
كنتَ نبعاً صغيراً
ماؤك أصفى من خيوطِ القمرِ
وأنقى من بريقِ النجوم.
يومها كانت الحجولُ والحمائمُ والبلابلُ
تقصدُ بابَك
وتنهلُ من زلالك
...

وحينَ انحدرتَ من هناك

وانطلقتَ بمائكَ الرائقِ الفضيّ

تزيحُ عن طريقك

كلَّ صخرةٍ وكثيب.

وصرتَ ساقيةً

واخضرَّتْ ضفّتاك

بالعشبِ والوردِ..

صرتَ ملجأً

للأسودِ والنمورِ

والهاربين من الأقطارِ الأربعة

...

ومضيتَ فـي الطريق

سريعاً كعصفِ الريح

لم تغمضِ الليالي جفنيك

لم يوهنْ سعيرُ الظهيرةِ دفقَك

لم تُذهِبِ الشمسُ سحنتَك

لم يكتمِ الثلجُ أنفاسَك

وما بللتكَ زخاتُ المطرِ والبَرَد

وما أحفتْ قدميكَ الهضابُ والصخور.

ومضيتَ سريعاً كعصفِ الرياحِ

من خوفكَ أحنَتِ الصخورُ

والسفوحُ هاماتِها

وتنَحَّتْ عن طريقكَ التِلال.

من حبِّكَ

أشرعتْ كلُّ الوديانِ والأغوارِ صدورَها

ونادتكَ كلُّ الشلالات

...

ومضيتَ تحفرُ دربَكَ العميقَ

فـي كبدِ هذا الترابِ العطِشِ الجريح

وصرتَ نهراً دافقاً

نهراً قوياً كثيرَ الهموم

...

وأينعتْ على ضفتيكَ القُرى

وفـي كلِّ قرية

علَتِ الأشجارُ والآجامُ

والورودُ والأشواكُ،

وانتصبَتْ.. رفعَتْ قاماتِها

...

وأقبلَ البعضُ على شاطئيك

توضأوا وصلّوا

وأقبلَ آخرونَ

نجّسوك، أطفأوا فيكَ شهواتِهم

وتعكرَ ماؤُكَ،

ارتختْ أقدامُك، أضناها المسير.

تصببَ منكَ العرقُ

تعبتَ

وصارتِ الأمواجُ تهجرُك

ذات اليمينِ وذات الشمال

وغادرتكَ السواقي

وامتدتِ الأيدي القبيحةُ

إلى جراحِك،

تلونَتْ بدمِ حشاكَ الجريح

وَهَنتَ وعراكَ الشحوبُ

خسرتَ خريرَك وشجيَّ ألحانِك

وضاعَ منكَ الصوتُ والصدى

وما عادتِ الصخورُ والسفوحُ

تنحنـي لك

ولا الحجارةُ تُخلي لك الطريق.

أمّا أنتَ

فما عَاد فـي وسعكَ أن تستديرَ

لتُبلِغَ استغاثاتِك

لكثبانِ الثلجِ ورائقاتِ الأمواجِ.

فنسيتَ سريعاً

صدرَ البحرِ الدافئ

ووقفتَ عند عتبةِ المدينةِ،

أسلمتَ الزمامَ

لسواقيها ومجاريها

أفواهُ المستنقعاتِ الآسناتِ ابتلعتكَ.

ركدتَ وفسدَ ماؤُك

ومن شاطئيكَ فرَّتِ الحمائمُ

وارتحلتِ الورودُ

واصفرَّ العشبُ

وأمسكَ أهلُ المدينةِ أنوفهم

من ريحكَ النتنِ.

ومضى الناسُ عطاشى

يصلّونَ للمطر.

من يومها صرتَ مأوىً للذباب

وفاسدِ السمَك

...

ليتكَ ظللتَ ذاكَ الكثيبَ من الثلجِ

فــي عالي الجبالِ

ليتكَ ظللتَ ذاك الوابلَ الفَتيَّ

من مطرِ الربيع

ليتك ظللتَ ذاكَ النبعَ
وذاكَ الجدولَ من باردِ الماءِ
ذاك الملجأَ لوحوشِ البراري
أو ذاكَ النهرَ
نصفَ العكرِ، نصفَ الزلال.
ليتك ظللتَ ذاك المسافرَ العنيدَ
الراحلَ نحو بحارِ الجنوب
لا هذه البِركةَ
من آسِنِ الماء!!

كاتريناهولم

1994

العشقُ والثورة والتاج

(1)

العشقُ صيّرهُ
زيتونةً سامقة
جذورها تمتدُ وتمتد
فـي قلبِ التراب الوثير،
وأغصانُها الطوالُ تتقلبُ
فـي حضن الشمس الدافئ.
أماليدُها أعشاشُ طير
فصولُها كلّها ربيع
فصولها كلّها زهور
فصولها كلّها ثمارُ قلوبٍ،
وفـي الأربعةِ الفصول
باسمها يقسمُ الإله!

(2)

الثورةُ وعشقُ الفقراء

جعلاه بطلاً.

اسمُه حفظتْهُ الجبالُ

واحتسَتْ من دمِه الثلوج

جراحُه ضمّدتْها الورودُ

ودارَ اسمُهُ

فـي أفواه الصغار

أغنيةً عذبةً

حكايةً

وملحمة!

(3)

الدولةُ وهبتهُ

عرشا وتاجا

رفعَتهُ سلطانا.

العرشُ والتاجُ نفضا قلبه

من كلِّ عشق

حولتْ يداً منه فأساً

والأخرى سيفاً دون غمد.

من يومها صار ينهشُ أعطافَ الزيتون

من يومها صار يقطعُ رؤوسَ الفقراء

ومن يومها

صار فــي أحلام الصغار

آفةً، وحشاً، وكابوساً

يخنقُ الأنفاس!

دهوك

1997

في طريق "ضةلَى"[1]

سبعُ ساعاتٍ مضتْ

تحتَ هذا الثلجِ والمطر

سبعُ ساعاتٍ مضت

وهي تلهثُ فوق هذا الجبل.

وهذا الطفلُ على أكتافها

مات مذ سبع ساعات.

...

كلما همّت بإنزالِه

صدّها قلبُها الكسير

(1) منطقة حدودية فرَّ إليها الملايين من اللاجئين الكورد عام 1991.

كلما همّت

لم تطاوعْها يداها

لترمي أحشاءَها

تحتَ الترابِ والحجَر!

كاتريناهولم

1991

أُمّاه.. لا تبكي غداً

غداً أمّاهُ

قبلَ انجلاءِ الظلامِ

قبل شروقِ الشمسِ

على أرضِنا

قبل أن تخلوَ الأعشاشُ

قبل أن تنهضَ الأطيار

لي موعدٌ والمشنقة!

...

غداً أماه

الصخرُ والدمُ والشجر

وتلك الحبيبةُ الخافرة

يلفّونَ أيديهمُ حولَ عنقي

ونطيرُ، نعلو فـي السماء

وترفعُ البحارُ وشامخِاتُ الجبال

أذرعَها، تلوّح لنا

تنادينا فننزلُ

وإذا شمسٌ وربيعٌ،

إذا دفقٌ من مطرٍ مبارَكٍ

يهمي على الرياضِ التي

فحّمَها النابالمُ

وعافَها قاحلةً مقفرة

...

غدا أماه

حذائي سيعلو فوقَ تاجِ الأمير

وحفلةُ عرسي

تُزري بكلِّ الأعراس

وقامتــي ستكونُ.. أزهى من الربيع.

فعلامَ، علامَ تبكين؟

وعلامَ تقرعينَ

صدرَكِ الذي كالبحر؟

علامَ تنثرينَ

شعركِ الذي كالثلج؟

لا، أماه، لا

لا تفعلي!

لا تلبسي السوادَ

لا تفتحي بابَ كوخِنا

للهَمِّ والأحزان

...

غدا أماه

"خاني" سينشدُ لي أغنيةَ العرس

وأنتِ تعيدين!

لا تبكي غدا أماه

حِسانُ قريتِنا سيأتينَ جميعا

فإذا تمردتْ دمعتانِ

وهوَتا، دون قصدٍ،

أسرعي أماهُ وأخفيهما

كي لا تقولَ الحبيبةُ: "ماتَ فتايَ

وتلك البندقيةُ التـي طالما

صدحَتْ بالبشاراتِ

هوَتْ من يديه، ذلَّت،

أسيرةً غدَتْ، فـي بلاط السلطان"

وذاك الفستانُ الذي جئتُها به

من رؤوسِ الجبال

وحكتُهُ لها من خيوطِ الشمس

يعروهُ السخامُ

يغرقُ فــي الظلام

لا أماه

لا

لا حبيبتــي لا!

بغداد

1979

النارُ والثلجُ والأغنية

لا يا سيّدي!

لا تضحكْ!

بلادي ثلجٌ.. ثلج

ومتى صارَ الثلجُ فحماً!؟

...

لا يا سيدي!

لا تضحكْ!

بلادي ليست نهراً

يضيعُ فـي البحرِ

بلادي ليستْ ربيعاً

يذبلُ حينَ يجيءُ الصيفُ

لا. بلادي جبلٌ

والجبالُ لا تغيّرُ أماكنَها

كذاكَ ثلجُنا

لمّا يزلْ يهوي

ولسوفَ

يظلُّ

يهوي

...

بلادي!

يا ثلجاً ودماء

لستِ حديقةً كي أقولَ:

"تلكَ الحديقةُ التـي رعَتْ فيها

قطعانُ البقرِ

لا أريدها"

لستِ (لةعليخان) ولستُ (هةسةم ئاغا)[1]

كيما أقول:

"ذلك الصدرُ الذي

عبثَتْ به يدُ غيري

لا أريد منهُ حُبّا وقبلةً"

---

(1) (لةعليخان) و (هةسةم ئاغا) : عاشقان في الفلكلور الكردي.

لا. أنتِ بحرٌ

(والبحرُ لا تدنِّسُهُ أفواهُ الكلاب)

وقلبــي لن يَعرى من حبّك!

...

بلادي!

يا ثلجاً ودماء.

حين كانَ الليلُ والظلامُ

يلوذانِ بالفرارِ

وتنشرُ الشمسُ ضياءَها

شيئاً فشيئاً

كنتُ أفتحُ عينيَّ

لأبصرَ جبالَكِ والوديان

وأنادي:

"ما أكبرَكِ

ما أعظمَكِ من بحرٍ ما له قرار!"

لكنَّ جرحاً

أقامَ بصدري ذات يومٍ

فاغراً فاهُ

حتى صارَ نافذةً

تطلعتُ منها لأراكِ

بكلِّ جبالكِ، بكلِّ وديانك

تُعشِّشينَ بقلبي

يومَها أدركتُ أنَّ صدري

مكتظٌ بالجبال!

يومها أدركتُ أنكِ صغيرةٌ

وأن قلبــي أكبرُ منكِ!

...

بلادي!

يا دماً وكثبانَ ثلجٍ.

من قالَ إنكِ قد سقطتِ

أو ستسقطين؟

لو كنتِ قد سقطتِ

فكيف تنزلُ القواربُ أنهارَكِ؟

وكيف تشرقُ شمسُنا وتغربُ

ويجيءُ الصباحُ

تجيءُ الظهيرةُ

يجيءُ المساءُ؟

كيف يحملُ الرعاةُ ناياتِهم؟

كيف تزأرُ أسودُكِ؟

وكيف تمسكُ الضلوعُ قلبي!؟

...

بلادي!

كلَّما أطفئت عينانِ سوداوانِ

تعانقت نرجستانِ فاتنتان

هكذا سيجيءُ يومٌ

تغدينَ فيهِ روضةً زاهية

وتختفي أشواكٌ

أدمَتْ أصابعَ صغارِنا

عندها، فـي الأماسي

إذ يقفلونَ من البساتين

تصدحُ أناشيدُ السلام.

عندها ستجلسُ حلّاباتُ قريتِنا

يمخُضنَ اللبنَ

أمامَ بيوتٍ عامراتٍ

لا فـي الكهوفِ الموحِشات

دهوك

1979

دهوك

آهٍ يا بلادي التي تعفنت

تحت أحذية الغاصبين،

ما أطيبَ أنفاسَك!

يقولونَ:

صرتِ مدينةً كبيرة!

يقولون:

استعرَتْ كلابُ السلطان

وأغرقَتِ الأزقّةَ بالدماء!

يقولون:

مهما أظلَمَ ليلُ السلطان

نارُكِ مضيئةٌ

ومشاعلكِ ما استسلمتْ للفرار!

يقولون:

صرتِ مدينةً جدُّ كبيرة!!

لكنْ كما أظلُّ فــي عين أمّي

طفلاً صغيراً

مهما تصرّمتْ من شهور وسنين،

كذاك أنتِ.

ومهما قطعتِ من تلال

مهما اقتطعتِ من جبال

مهما كبرتِ

كلّما ناداكِ الكرى

وأثقل جفنيك
هلمِّي وألقي برأسك
على قلبي!
...
أحببتكِ فـي الشتاء
حين كان الثلجُ ..
يغطي كل جبلٍ فيك.
أحببتكِ فـي الربيع،
ونحن سربٌ من صغار
نسرقُ اللوزَ من بساتينك.

أحببتكِ فــي الصيف

وأنا ثملٌ فــي انتصافِ الليالي

والنسيمُ يهبُّ من مضيقك.

فــي الخريف أحببتكِ

وزرافاتٌ جديدةٌ من صغارك

تجري إلى المدارس.

لكنني، فــي غربتــي واغترابي،

أحبّك فــي كل حين!

...

كوني ذئباً وابرزي لي من الغابات..

لسوفَ أحبك!

كوني شلالاً من بَرَدٍ وانزلي فوق رأسي..

لسوفَ أحبك!

كوني ينبوعَ نارٍ وتفجَّري بين أقدامي..

لسوفَ أحبك!

كوني كابوساً واجثمي فـي رقادي..

لسوف أبقى.. أحبك!

...

يقولون:

قد صرتِ مدينةً جدُّ كبيرة!

من عُبابك يفرّ

جلاوزةُ السلطان.

يقولون:

قد صار التنينُ فرعوناً

يجثمُ فوق رمّانة

ويحجب نورَ شمسك!

لكن شمسك

لم تزل كما كانت:

تشرق من "طةلى بيَسرآ"[1]

وتغرب من تلال "شاخكآ"![2]

ستوكهولم

1985

---

[1] "طةلى بيَسرآ" مضيق جميل يقع إلى الشرق من دهوك.

[2] "شاخكآ" منطقة في غربي مدينة دهوك.

بابكو[1]

إلى الشهيد الحي

"ملا نذير"

أمامَ الحجرِ الأسود

رفع يديه الصغيرتين

إلى عرش الله

ونادى ثلاثاً:

"أيْ إلهي!

أيُّ قلبٍ

طفحَ بالإيمان كقلبي؟

أيُّ بستانٍ

طفحَ بالدمِ والنار

كجنّتك.. كوردستاننا؟!"

---

(1) بابكو: في الكردية، صيغة نداء محببة لمخاطبة الأب أو الرجل الكبير.

...

أمام الحجر الأسود

ما تذكَّرَ الجنةَ أو النار

لا الحورَ الأربعين

لا الخمرَ، لا العسل، لا أنهار اللبن

ولا النار التـي من شرارها

أُوقِدَتْ نارُنا

...

أمام الحجر الأسود

من خلال الدموع

صار دُميةً للمطر[1]

ومن قلبه ارتفع النداءُ

بصوتٍ كصوت "بلال"

"أيْ إلهي!

بكل أسمائك التـي باركتَها

باركْ شعبنا الفقير

وكوردستاننا الجريحة"

...

فـي ذرى الجبال،

حين كانت الأحلامُ والآمال المضيئة

(1) دمية المطر: عروس يصنعها الأطفال أوقات احتباس المطر ويدورون بها في الأزقة مردّدين الأناشيد حيث يُسكَب عليها الماء فتراها مبلّلة على الدوام.

مثل زهور صفر وحمر

تذبل فـي نهايات الربيع،

كانت أحلامه تمدُّ جديدَ الغصون

...

فـي ذرى الجبال،

وعاصفةُ القهرِ الهوجاء

تحيل ما تضربُه إلى ظلام

وتهزُّ كلّ واقف على أقدام

وتطيحُ بهاماتِ الشجر،

كان يسندُ ظهرَهُ

إلى نور الله

وكان الليل يفرُّ منه

موجةً فــي إثرِ موجة

...

فــي ذرى الجبال، وسمومُ الحقدِ السود

ونارُ الغدر والقهر

تُخرسُ كلَّ حياة

وتسرقُ كل لونٍ للطبيعة،

كانت بندقيته برقاً

يدوّي فــي البراري والجبال

...

فــي السجن..

السجن الذي حفرته مَخالب الوحش[1]

فــي قلب كوردستان.

كان "عماراً"

يصرخ فــي وجه "أبي جهل" قريش:

"أحدٌ، أحد"

...

فــي السجن الطويل

كان "أيوبَ" الصابرَ.

من عشقِ الله والجبال العاليات

---

(1) المقصود سجن كركوك الذي كان مركزًا للتحقيق والتعذيب الرهيب.

كانت جراحاتُه تبتسم

وآلامه تسخرُ من حقد الجلادين.

...

فــي السجنِ الطويل

سجنِ "أبي غريب"

أحرقَ سجادتَه، وصَلاته..

والثوبَ الذي يستر لحمه

ليوقد نارَ نوروز

...

فــي كوردستانَ الحرةِ

كوردستان العامرةِ السعيدة

أبصرَتْهُ كلُّ العيون

يسندُ رأسه

الى أحلامه والآمال

صلاته والدعاء

جراحه والأشجان

آلامه والكفاح

.. وبندقيته

ويحنــي رقبته..

إيه يا بابكو؟

هكذا هي الدنيا:

"النِمِر مِنْ جوعان

ياكُلْ جِهالهْ

والشعب مِن شبعان

ينكرْ ابطالهْ!!!"[1]

دهوك

2001

---

[1] ارتأيت ترجمة هذا المقطع بالعامية العراقية.

رؤيا

"أعطني حلماً لأحيا به
أو جرعة سمّ بها أموت"
طونار اكلوف[1]

– أماه
رأيتُ حلماً ليلةَ البارحة!

– ليكن خيراً
حلمُك يا ولدي!
قصَّه عَليّ، ولكن فـي حذر!
فالجدرانُ لها آذان!

– رأيت يا أماه فـي ما يرى النائمون
أنّ الأرضَ صارتْ سجادةً

---

(1) شاعر سويدي.

وأنَّ الربَّ نزلَ من عليائه

وأمسك بأحدِ طرفيها

وأمسكتُ بالطرف الآخر

ونفضناها

نفضناها

نفضناها

ثم طرنا صوبَ نجمةٍ عالية

ورأينا الجبالَ والقرى والمدائنَ

تستحيلُ شقراءَ عاريةً غافية

وتأملناها

خلية بعد خلية

لم يبقَ تاجٌ

لم يبقَ شرطيٌّ

ولا جزمةٌ عسكريةٌ!

ستوكهولم

1984

ليتَ لي يداً واحدة

لو كانَ الأمرُ بيدي
لصرتُ قلعةً عصيّة
لا يدحرُ بابَها أحدٌ
ولا يعتلي سورَها إنسان.

لو كانَ الأمرُ بيدي
لصرتُ نجمةً عالية
لا تدوسها أقدام.

لو كانَ الأمرُ بيدي

لصرتُ كثيباً من الثلج

فوقَ جبلٍ شامخٍ

لا قطرةُ دمٍ تصبغها بالحمرة

ولا لطخة حقدٍ تصبغها بالسواد

وصمدتُ كلَّ صيف

حتى يأتي لنجدتي.. ثلجٌ جديد.

لكنني لستُ قلعةً عصية

لستُ نجمةً عالية

ولا كثيب ثلج

أنا لحمٌ ودم

تحتَ خنجرِ غدر

أنا كومةُ تراب

على قارعة طريق

مرةً أصيرُ غباراً

على يدِ الريح

مرةً أستحيلُ وحلاً

تحت أقدام المطر.

مُذ كنتُ وأنا

أحلمُ بسنبلة قمحٍ وشجرة تفاح

لكنني مُذ خلقتُ

تدوسني حوافرُ الخيلِ

أو تنحتني يدٌ دميمة

تمثالاً لقطّة

لا مـخلبٌ عندها ولا قدم.

لي يدانِ اثنتان لكن

كلّما ارتفعت يدٌ

أنشبت بها الثانيةُ

خنجرَ غدر.

ليتَ لي يداً لا اثنتين

ليتني كنتُ..

أو كنتَ أنت!

VI

أغنيةٌ على رأس خنجر

إلى الشاعر الكوردي

أحمد نالبند(*)

سوى خنجره

ما فتح أحد

له أحضانَه

سوى خنجره

ما ارتمى أحد

بين ذراعيه.

وهل لقلب تجمد من البرد

أنْ يدير ظهره

لحضن دافئ مفتوح؟

...

(*) أحمد نالبند: شاعر كوردي كبير وغزير الإنتاج. سكن في محافظة دهوك وعاش حياة بائسة مشردة ملؤها الحرمان. انتحر عام 1963 بخنجر أغمده في جسده.

قد كنتَ حقلا من القمح

أحرق الظمأ سنابله

ما شبعتَ يوما من خبزٍ

لكنك أشبعتَ الدنيا

بالأغنيات!

جناحان في كأس

إلى

شكويي حسن(*)

كان شكو

يسكن في شقة تصلح

لأن يلقي المرء نفسه منها

فألقى بنفسه.

كأسه كانت

مصباح ليله

كأسه كانت

(*) شكويي حسن: شاعر كردي ولد عام 1928 في قرية بأرمينيا. هاجرت أسرته من "قارس" إلى أرمينيا في بداية الحرب العالمية الأولى بعد أن تعرض الأرمن والأيزيديين إلى عمليات الإبادة. عاش حياة قاسية مريرة أنهاها في ليلة من عام 1976 عندما ألقى بنفسه من نافذة شقته.

صرخة فراره

كأسه كانت

قيثارة جرحه

وأغنية أحزانه

كأسه كانت

ساعة فراغها

كحبل مشنقة

يلفّ عنقه

وخنجرٍ يطعن قلبه

كأسه حين تفرغ

يتكئ عطشه

على جوع أطفاله

وينهمر الدمع من مقلتيه

كأسه فرغت

وقصّت جناحيه

لكنه، بتلكما الجناحين المقصوصين

طار من "ئه له كه زي"

حتى "لالش"

غيمةٌ في أتّون(*)

إلى

فلاديمير ماياكوفسكي(١)

غيمة كنتَ

وكانت أتّوناً موقَدا(**)

لا سماء.

شجرةً كنتَ

وكانت إعصاراً

لا غابةً.

(*) الأتّون: الموقد الحامي.

(١) فلاديمير ماياكوفسكي (1893–1930) الكاتب والشاعر الروسي الشهير، ولد في بلدة بغدادى في جورجيا، انتقل إلى موسكو عام 1906 حيث تعرف على الفكر الماركسي ونشط في صفوف البلاشفة وعمره 15 عاماً. انتحر عام1930 بعد فشله في حياته العاطفية وعدم تحقيق الثورة طموحاته وأحلامه واصطدامه بقيادتها بسبب طبيعته الحرة المتمردة. كتب العديد من المسرحيات والقصائد من أشهرها قصيدة غيمة في بنطلون التي يحيل إليها عنوان قصيدة مؤيد طيب هذه.

(**) يعني الثورة.

كنت شعلةً من بهاء

وكانت طوفاناً هادراً

وها أنت الساعةَ

نارٌ خامدة

شجرةٌ مطروحةً في التراب

وغيمة مثقلة بالندم.

...

كنت نبعاً متمرداً

أبداً تجري لفوق

كنت غيمةً محملة بالزهور

احترقتْ

في أتون!

قيصر روسيا

إلى الروائي الكردي

بافى نازى

في ليلةٍ يحظى بها

برغيف نصف محترق

وقارورة من الفودكا الروسية

وخيارة مملحة

وحبة باذنجانٍ

وحبتين من طماطم

وأحضان امرأة

هو قيصر روسيا؛

تاجه الشمس

جيشه الريح

وعرشه الدنيا

حتى لو قابل الصباح

بجيوبٍ خاويات

وبزّةٍ مستعملة

وبيتٍ في أزقة موسكو

أو عند صديق يأويه.

****

لا، فلأكن صادقاً:

حتى إن لم ينل

رغيفاً نصف محترق

وفودكا روسيةً

وخياراً وباذنجاناً

وحضن امرأةٍ

سيظل قيصرَ روسيا

لكن بأيدي البلاشفة!

***

وصيةٌ:

إن أنا متُّ

فازرعوا فوق قبري

شتلةَ امرأةٍ

ولتكن من فضلكم

طويلةَ القد

ذهبيةَ الشعر

زرقاء العيون!

دهوك

2018 /2 /4

أين مهد طفولتي

(1)

أذناهُ الثقيلتانِ

صارتا عينيه

ثمةَ أوقاتٌ

يبصر فيها صوت البرق

لكنه لا يعلمُ

إن كان الفصلُ ربيعاً

أم هو الخريف.

(2)

ساقاهُ غدتا عكازتين

لكنهما، من فرط الضجر

اتكأتا

على جدار خلف رأسه

وغطّتا في نوم عميق.

(3)

الحياةُ

مثلها مثل أولاده

أدارت له ظهرها

والموت

مثله مثل أحفاده

لم يكلف نفسه بزيارته

أما هو

فما أنفكّ ينادي

بحنجرته الخامدة

ودموعه الذاوية:

أينَ أمي؟

أينَ مهدُ طفولتي؟

دهوك

31/ 10/ 2018

V

شجرة في أربع لوحات سريالية

إلى

سلفادور دالي

(1)

كلُّ هذي الفراشات

البِيضِ كما الثلج

ما الذي تفعله

فوق أغصان هذه الشجرة العارية؟

- "إنها خِرافي الحبيبة

أطلقتُها لترعى"

قال الربيع.

(2)

كلُّ هذي الفراشات البِيضِ

الى أين تمضي؟

كلُّ هذي البلابل الخُضر

من أين جاءت؟

- "قد طارت

من خيوط شمسي"

أجاب الصيف

(3)

جذورُها

صوبَ السماء

أغصانُها العاليات

فوق التراب

من قلَبَ هذه الشجرة

رأسًا على عقِب؟

- "تلك ريحي العاصفة"

قال الخريف

(4)

أَيّةُ أمّ هذه

لتغسل رأسَ ذا الطفل

بماء المطر

ورغوة الثلج

في هذا البرد القارس؟

-        "هذا أنا"

أجاب الشتاء

دهوك

2016 /9 /18

مطر

المطرُ رسالةُ عشقٍ

من السماءِ

إلى الأرض،

جوابُها

دفقُ الينابيعِ والعيون،

وتبسُّمُ الوردِ والعشبِ

على مُحَيّا السهولِ

وشِفاهِ الجِبال.

بغداد

2012

ضباب

الضبابُ

طَرحَةُ عرسِ الترابِ.

يكشفها النهارُ عن وجهها

بأصابعه الذهبية.

هلمّي يا قلوباً

لم تُفطَمْ بعدُ

من ثدي الطبيعةِ!

هلمّي يا أعينا

لم يمَسَّها بعدُ

صدأُ الحياة!

هلمّي إلى حفلةِ العرسِ:

ذا العريسُ

ذو القدِّ المديد،

وذي العروسُ الفاتنةُ الحسناء!

دهوك

2012

نجوم

النجومُ ورودٌ ليليةٌ
في حدائقِ السماء..
حولها، في ليالي الصحو،
تحَلِّقُ القلوبُ الكسيراتُ
وتؤوبُ قُبيلَ الصباح،
لأوكارِها بين أحضانها.
...
النجومُ ورود ليليةٌ
وحدها كسيراتُ القلوب
والأعين التي جفاها النومُ
وحدها تدري
ما طِيبُ عطرها!

دهوك

2012

أشجار

الأشجارُ أيدٍ

يرفعُها الترابُ الظامئُ

أمامَ رحمةِ السماء،

أيدٍ ما سَرَقَتْ يوما لكنها

تُقطَعُ بالفؤوس.

ليسَ للأشجار دموعٌ

ولا دَمٌ،

لا صيحات استغاثة

ولا أنين..

لكنْ من يقولُ

أن الأرضَ والسماءَ

لا تبكيانِ لها

حين تهوي قاماتُها

على التراب.

دهوك

2012

الفهرست